

المقاصد التداولية للأفعال الكلامية في شعر محمد العيد آل خليفة - نماذج مختارة-

The Pragmatic Purposes of Speech Acts in the Poetry of Muhammad

- Al-Eid Al Khalifa - Selected Models

* ط.د سفيان لوطه 1 / د.الحاج قديح2

Soufiane louta 1 / Elhadj kedidah 2

مخبر اللغة وتحليل الخطاب.

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

.Mohamed Al-Siddiq Ben Yahya University - Jijel (Algeria)

soufiane.louta@univ-jijel.dz 1 / hadj71@gmail.com 2

تاريخ النشر: 2025/03/02

تاريخ القبول: 2025/01/01

تاريخ الإرسال: 2024/09/15

مُلَخَّصُ الْمَلِكِ

يهدف هذا البحث إلى تحديد مجموعات أفعال الكلام في شعر محمد العيد آل خليفة واستجلاء مقاصدها التداولية مع بيان الغايات التأثيرية لها، ولذلك فقد تبلورت إشكاليته الرئيسة في الصياغة الآتية: ما المقاصد التداولية للأفعال الكلامية في الخطاب الشعري عند محمد العيد آل خليفة؟ ومن أهم الاستنتاجات المتوصل إليها: فعالية المنهج التداولي (نظرية أفعال الكلام -أمودجا-) في مقارنة النصوص الأدبية، وغنى المدونة المدروسة بأفعال الكلام وتنوع مقاصدها بتنوع السياقات ونوعية المخاطبين.

الكلمات المفتاحية: تداولية، قصد، أفعال الكلام، محمد العيد آل خليفة.

Abstract:

This research aims to identify groups of speech acts in the poetry of Muhammad Al-Eid Al Khalifa and clarify their pragmatic purposes while clarifying their influencing goals. Therefore, its main problem has been crystallized in the following formulation: What are the pragmatic purposes of speech acts in the poetic discourse of Muhammad Al-Eid Al Khalifa? Among the most important conclusions reached: the effectiveness of the pragmatic approach

* سفيان لوطه: soufiane.louta@univ-jijel.dz

(speech act theory - a model) in approaching literary texts, and the richness of the studied blog in speech acts and the diversity of its intentions according to the diversity of contexts and the type of addressees.

Keywords: pragmatics, intention, speech acts, Muhammad Al-Eid Al Khalifa.



المقدمة:

أسس التداوليون أبحاثهم على مجموعة من المفاهيم الأساسية مثل: السياق، مقام التلفظ، المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والعلاقات القائمة بينهم وكذلك ظروف التواصل وقوانينه وغير ذلك الكثير، وقد انتظمت تلك الأبحاث بمفاهيمها النظرية والمنهجية في نظريات لغوية تداولية أريد بها بحث مظاهر الخطاب المتنوعة والوقوف على دلالاته الحرفية ومقاصده التداولية، وأشهر نظرية مثلت هذا التوجه هي "نظرية أفعال الكلام" التي تمحور البحث فيها حول قصد المتكلم من الخطاب (المقصدية)، ومنه تكون أجدى النظريات في دراسة شعر محمد العيد آل خليفة في إطار الإشكال الآتي: ما المقاصد التداولية لأفعال الكلام في الخطاب الشعري عند محمد العيد آل خليفة؟ والهدف هو استكشاف تلك المقاصد وبيان ما تؤديه من غايات تأثيرية بالنسبة للمتخاطبين، وسيتدرج البحث في مسعاه هذا من بيان مفهوم التداولية والمقصدية إلى رصد الدراسات التداولية في القصد، وصولاً إلى عرض ملامح نظرية أفعال الكلام عند مؤسسها أوستين ومطورها من بعده تلميذه سيرل وانتهاء بتحديد مجموعات أفعال الكلام ومقاصدها في المدونة المدروسة.

1-المقصدية وموقعها في الدراسات التداولية الحديثة:

أ-مفهوم التداولية:

تنوعت الآراء بشأن المفهوم الاصطلاحي للتداولية، والسبب في ذلك عائد إلى ارتباط نشأتها المعرفية بحقول معرفية عدة من جهة، وإلى تعدد مجالات اهتماماتها وانفتاحها من ثمة على تخصصات وعلوم أخرى من جهة ثانية، هذه الحال تدفع بالباحث في مفهومها الاصطلاحي إلى التفتيش عن مفهوم يختصر كل أبعاد التداولية في صياغة واحدة، ويحاول تقريب الصورة بشأن توجهها البحثي في اللسانيات خاصة، بعدها أقرب حقل معرفي إلى التداولية في نظر كثيرين، هذا وقد رصد محمود نخلة في كتابه "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" تعريفات متنوعة للتداولية، ليرتضي في الأخير القول بأنها دراسة للاستعمال اللغوي أو اللغة في إطار التواصل¹ وبهذا تخرج التداولية من حيز الدراسة البنيوية الشكلية الضيق إلى حيز أوسع وأفق أرحب يرتبط بمسألة الاستعمال اللغوي وما يتعلق بها من ظواهر مثل: المتكلم، المستمع، السياق، ملابسات التواصل، المقصدية...، وانفتاح التداولية على هذه العناصر المذكورة وغيرها سيسهم دون أدنى شك في رفع كفاية التحليل

اللغوي والوقوف على مدى التأثير الذي يمارسه خارج اللغة على داخلها (بنيتها)، إضافة إلى اكتشاف أسرار العملية التواصلية التخاطبية وبيان ما يتحكم فيها من شروط وأعراف.

ب- مفهوم المقصدية:

أدرك علماء اللغة والباحثون في ظواهرها أهمية القصد ودوره في قيام العملية التواصلية التخاطبية، ومنه فقد شملوه بالبحث والدراسة على اختلاف مشاربهم العلمية، هذا، ولا يخرج مفهوم القصد عن الدلالة على الإرادة أو معنى الخطاب أو الهدف منه².

وأقرب دلالة إلى موضوع البحث من الدلالات الثلاث هي القصد بوصفه معنى الخطاب؛ أي المعنى الحقيقي للخطاب الذي يتجاوز في أكثر الأحيان المعنى الحرفي المباشر، والذي يُتوصل إليه من خلال عملية التأويل المراعية لعناصر السياق والمهتدية بإجراءات التحليل التداولي، ولذلك تستعمل كثير من الألسنة الفعلين "يعني" و"يقصد" بوصفهما مترادفين، من منطلق أن المراد بمعنى الخطاب هو القصد منه، وهو الذي من أجله وجدت اللغات وحدث التواصل³، والقصد على هذا الفهم هو الأساس في وضع اللغات بداية؛ فقد أوجدها الأوائل فيها لنقل هذا القصد وتبليغه للآخرين، وهو كذلك الحامل على التواصل والدافع إليه، فلا تواصل دون وجود قصد معين، ويمثل هذه الأهمية يستحق القصد أن يتبوأ مكان الصدارة في اهتمام اللسانيين المعاصرين لأنه يمثل الهدف الأسمى من العملية التواصلية من جهة، ولأن الدراسات اللسانية السابقة -الشكلية خاصة- أثبتت عجزها عن دراسة معاني كثير من العبارات اللغوية التي تتجاوز المعنى الحرفي إلى قصد المتكلم بها في السياق الخصوص، وعليه فتجنبنا لحدوث سوء فهم بين المتخاطبين سيكون من الأجدى دراسة القصد والكشف عنه بصورة صحيحة.

ج- القصد في الدراسات اللسانية التداولية:

شغل البحث عن مقاصد المتكلمين من كلامهم معظم الباحثين التداوليين من منطلق "أنّ الناس لا يقولون عادة ما يعنون، فالمتكلمون يقصدون معنى أكثر بكثير مما تعبر عنه كلماتهم، فقد يقول أحدهم مثلا: "إنّه حار هنا"، لكنه يقصد معنى من فضلك افتح النافذة! أو "أمن اللائق أن افتح النافذة؟" أو "أنتك تبتد الكهرباء"⁴ وهذا يكشف عن اتجاه بعض المتكلمين في سياقات معينة إلى التعبير عن مقاصدهم بطريقة غير مباشرة؛ مما يعني أنّ القصد من الكلام لا يتجلى في لغة الخطاب مباشرة، بل يكون متواريا خلفها، وهو ما جعل التداولية تتجاوز دراسة المعنى الحرفي إلى دراسة المعنى التداولي وطريقة التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر، وهو ما يكشف لنا عن إحدى الاستراتيجيات المعتمدة في الخطاب (الاستراتيجية التلميحية)⁵ ومادام أنّ المعنى التداولي - وهو مدار البحث في الدراسات التداولية - ذو صلة مباشرة بقصد المتكلم من الخطاب في السياق المعين، فإن بعض الباحثين في المجال التداولي قد اصطالحوا على تسميته ب "معنى المتكلم"، ونذكر

منهم "جيني توماس" في كتابها "المعنى في لغة الحوار"؛ إذ تذهب المؤلفة للتمييز بين مستويين لمعنى المتكلم، يمثل أولهما "معنى المنطوق"، ويحمل ثانيهما اسم "القصد"، وهذان هما المكونان الأساسيان لمعنى المتكلم، فما المقصود بكل منهما يا ترى؟

ونستعين لتوضيح مفهوم معنى المنطوق ومفهوم القصد على الترتيب بالمثال الذي أورده المؤلفة جيني توماس في كتابها وهو: "تخيل إن قال أحدهم: "هل هذه سيارتك؟" وافترض أنّه بسبب السياق الذي سئل السؤال في إطاره ليس هناك لبس في المعنى أو الإحالة... وبالتالي فعلى الرغم من أنك لا تصادف مشكلة في فهم معنى المنطوق (المستوى الأول للمعنى الذي يقصده المتكلم) فيأثّر لا تفهم بعد القصد من وراء هذا السؤال"⁶ فالخاطب في هذا السياق أدرك معنى العبارة التي جاءت في صيغة سؤال، وهو ما يمثل معنى المنطوق؛ أي ما تعنيه تلك الكلمات مجتمعة في سياق معين، ولكنه لم يدرك إلى غاية الاستعانة بالسياق- قصد المخاطب (المتكلم) أو غرضه الحقيقي من السؤال، أهو إعجاب بالسيارة أم ازدراء وتحقير لها؟ أهو شكوى يبعث بها إلى مخاطبه الذي سدّ عليه الطريق بسيارته أم أنّه يطلب منه نقله إلى مكان معين (المدينة مثلا)⁷ والفيصل في تعيين قصد من المقاصد السابقة المذكورة أو غيرها بوصفه قصد المتكلم الحقيقي هو السياق بعناصره المختلفة، وبهذا يكون القصد هو الغرض المنشود من وراء الخطاب الصادر عن المتكلم، فالسؤال في هذه الحالة (معنى المنطوق)، وأحد الأغراض السابقة هو القصد من الخطاب.

ويمثل بول غرايس أحد فلاسفة اللغة خاصة والتداوليين عموما الذين أسهموا في لفت النظر إلى مفهوم القصد، وذلك من خلال تمييزه بين الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، "ويقارن أمثلة من قبيل "يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق" و"تدلّ البثور المنتشرة على جلد زيد على أنّه يعاني من مرض جذري الماء" بأمثلة من قبيل: "أن يقول زيدّ لعمره: إنّ غرفتك زربية خنازير فإنّه يقصد أنّ غرفة عمرو وسخة وغير مرتبة"⁸ والناظر في أمثلة غرايس سيجد أنّ المثالين الأولين (مثال منبه الحافلة+ مثال البثور) إنّما يمثلان الدلالة الطبيعية التي تجلت في صورة علاقة تربط بين الظاهرة ونتيجتها حيناً وبين الظاهرة وأماراتها حيناً ثانياً، وسيلحظ كذلك أنّ المثال الثالث (مثال زيد) يمثل الدلالة غير الطبيعية التي انعكست في شكل علاقة خاصة بين غرض المتكلم والجملة المستعملة في تبليغ ذلك الغرض، وبناء على ما ذكر لنا ربط القصد بالمفهوم الغرايسي بما يُسمّى بالدلالة غير الطبيعية التي تتجاوز -كما رأينا- معنى الخطاب الحرفي إلى قصد المتكلم في السياق المعين.

ولم يجد الفيلسوف اللغوي جون سيرل عن مسار البحث في القصد، بل كان أبرز ممثل لهذا النوع من البحوث، "...فلقد أعاد تناول نظرية أوستين وطوّرها فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضع. وبالفعل يمكننا اعتبار الأعمال اللغوية والجملة التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواصلية للتعبير عن مقاصد وتحقيقها. وهذا المظهر كان حاضراً لدى أوستين ولكن سيعرف أوج تطوره لدى سيرل"⁹ وعليه فسيرل يأخذ المقاصد

يعين الاعتبار في نظريته عن أفعال الكلام، ويعدّها منتهى غاية المتكلم الذي يستغل المواضع اللسانية للتعبير عنها ودفع المخاطب إلى تحقيقها إن كان المخاطب يتمتع بالسلطة الكافية لذلك.

2- نظرية الأفعال الكلامية:

تقترب الإشارة إلى نشأة التداولية في أغلب الحالات بالحديث عن نظرية أفعال الكلام التي مثلت الحلقة الأولى لبروز الاهتمام التداولي في الحقل اللساني، وذلك بفضل ما طرحته من مفاهيم تداولية مهمة من مثل: الإنجاز، السياق، الاستعمال... التي وجهت بحوث تداولية كثيرة في مراحل لاحقة، وعليه سيكون من المفيد للبحث عرض المراحل التأسيسية للنظرية، وبيان الكيفية التي أسهم من خلالها أوستين وسيرل في وضع نظرية تداولية ذاع صيتها في الفلسفة قبل اللسانيات، ونطلق في عرضنا للنظرية من تساؤل محوري نصه كالآتي: ما الإسهامات المعرفية التي قدمها أوستين وسيرل في مجال نظرية أفعال الكلام؟

أ- ظهور نظرية الأفعال الكلامية (أوستين):

يعود الفضل الأكبر في ظهور نظرية أفعال الكلام إلى جون أوستين الذي تبني مجموعة من الأفكار والفرضيات نوضح بعضها فيما يلي من الكلام.

رفض أوستين بدءاً الفرضية القائلة بأنّ اللغة تخدم أساساً وظيفة وصف العالم الخارجي والإخبار عنه، مصطلحاً على هذه الفرضية الفلسفية بـ "المغالطة الوصفية"، وذاها في الوقت نفسه إلى التصريح بأداء اللغة لوظائف أخرى متنوعة، وهو ما قاده في النهاية إلى تمييز "الأقوال الخبرية التي تصف الواقع وتخضع للتقييم صدقاً أو كذباً من الأقوال الإنشائية التي ليس لها قيمة الحقيقة وتستعمل لصنع شيء ما"¹⁰ والنوع الثاني: (الأقوال الإنشائية) - كما ورد - تستعمل لإنجاز أفعال وصنع أشياء، وهي من ثم لا تخضع لمعيار الصدق والكذب الجاري على الأقوال الخبرية، ومن أجل التمثيل لها تقدم الأمثلة الآتية¹¹:

نعم أقبل (رداً على سؤال "أقبل / أقبلي الزواج من هذه المرأة / من هذا الرجل؟" أثناء حفل الزفاف).

أستمي هذه السفينة الملكة إليزابيث.

أراهنك على عشرة دنانير بأنّ السماء ستمطر.

فالأمر المسجل على هذه الأمثلة هو أنّها لا تصف واقعة من وقائع العالم الخارجي، ولا تنقل خبراً أو حقيقة معينة عنه، بل إنّها تنجز فعلاً عند التلفظ بها، وهو فعل انعقاد الزواج في الأول، والتسمية في الثاني والرهان في الثالث، ومادام الحال كذلك فإنّها ستنفلت من معيار الصدق والكذب لتخضع لمعيار جديد مغاير هو النجاح والفشل، باعتبار أنّ كل مثال من الأمثلة المذكورة قابل للنجاح إذا توافرت له شروط إنجازها، ومعرض كذلك للفشل إذا غابت تلك الشروط في سياق معين.

والأقوال الإنشائية -كما سبق وذكرنا- يؤدي التلفظ بها إلى إنجاز فعل يُسمَّى الفعل الكلامي الذي قسمه أوستين إلى ثلاثة أفعال هي¹²:

أ-فعل قولي locutoire: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيب)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

ب- فعل إنجازي (القول الفاعل) illocutoire: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: يعدُّ، يُخبر، يعجب، ينذر، ويشمل (الجانب التبليغي والتطبيقي).

ج- فعل تأثيري (استلزامي) perlocutoire: يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه، يجعله ينفلج...)

وبعبارة شارحة للأقسام الثلاثة نقول إنَّ الفعل القولي يعادل التلفظ بأصوات طبقاً لقواعد نحوية ودلالات معيّنة، في حين يساوي الفعل الإنجازي إنجاز فعل ضمن القول، بينما يكافئ الفعل التأثيري إحداث تأثير في وضع المتلقي؛ إن في فكره وإن في سلوكه وإن في تصرفه.

وبالاعتماد على القسم الثاني (الفعل الإنجازي أو القوة الإنجازية) وضع أوستين تصنيفاً للأفعال الكلامية يشمل المجموعات الخمس التالية¹³:

- أ-الأفعال الحكمية (الإقرارية) Verdictifs: حكم، وعد، وصف.
- ب-الأفعال التمرسية Exersitifs: إصدار قرار لصالح أو ضد... أمر، قاد، طلب...
- ج-أفعال التكليف Commessifs: تلزم المتكلم: وعد، تمتي، التزم بعقد، أقسم،...
- د-الأفعال العرضية (التعبيرية) Expositifs: عرض مفاهيم منفصلة، (أكد، أنكر، أجاب، وهب،...).
- هـ-أفعال السلوكيات (الإخباريات) comportementaux: ردود أفعال، تعبيرات اتجاه سلوك: اعتذر، هتأ، حثي، رحب...

ب-تطور نظرية الأفعال الكلامية (سيرل):

واصل سيرل جهود أستاذه أوستين مطوّراً جوانب عدة من نظريته، من بينها: بدأ سيرل بتقديم تقسيم جديد للفعل الكلامي يجعله في أربعة أقسام هي¹⁴:

أ-فعل التلفظ (الصوتي والتركيب).

ب-الفعل القضوي (الإحالي والجملي).

ج-الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).

د-الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين).

والجديد الملحوظ في هذا التقسيم هو الفعل القضوي المتكون من فعلين فرعيين هما: الفعل الإحالي الذي يعني الإحالة إلى أشياء معينة أو أشخاص محددين، والفعل الجملي الذي يفيد تكوين جملة تشتمل على مسند ومسند إليه.

ومما ميز عمل سيرل كذلك تمييزه بين نوعين من الأفعال الكلامية أو الإنجازية¹⁵:
أولها: الأفعال الإنجازية المباشرة (Direct): وهي التي توافق قوتها الإنجازية الحرفية قصد المتكلم من الخطاب.
وثانيها: الأفعال الإنجازية غير المباشرة (Indirect): وهي التي لاتوافق قوتها الإنجازية الحرفية قصد المتكلم من الخطاب.

وبالنظر إلى هذا التمييز الذي أقامه سيرل بين هذين النوعين من الأفعال الإنجازية، نجد أنه اعتمد على القصد بوصفه معيارا أساسيا في التفريق بينهما، فإن كان القصد مفهوما من صياغة العبارة (قوتها الإنجازية الحرفية) فالحال يؤشر هنا على فعل إنجازي (كلامي) مباشر، أما إن كان القصد غير مفهوم من صياغة العبارة، ومرتبطا بملازمات التواصل وعناصر السياق التداولي، فالحال يدل هنا على فعل إنجازي (كلامي) غير مباشر.

وتلافيا للتداخل المسجل بين بعض أصناف الأفعال الكلامية عند أوستين، قام سيرل بوضع اثني عشر مقياسا منهجيا يُستند إليها في تصنيف الأفعال الكلامية والتمييز بينها، ومن بين تلك المقاييس: الهدف من العمل، اتجاه علاقة المطابقة بين الكلمات والعالم، الحالات النفسية المعبر عنها، القوة التي يعرض بها الهدف المتضمن في القول، منزلة كل من المتكلم والمخاطب وتأثيرها في قوة القول المتضمنة في القول...¹⁶
وقد مكنته المقاييس المذكورة وغيرها من بناء تصنيف جديد للأفعال الكلامية، سنجي الحديث عنه للبحث الموالي نظرا لارتباطه بالجانب التطبيقي للبحث.

3- أصناف الأفعال الكلامية ومقاصدها في شعر محمد العيد آل خليفة:

تنوعت الموضوعات الشعرية عند الشاعر محمد العيد آل خليفة وتعددت معها المقاصد والأغراض الكلامية، التي يمكن استجلاء بعضها في ضوء تصنيفية سيرل للأفعال الكلامية التي تشمل المجموعات الخمس الآتية:
أ- التقريريات (التمثيلات):

وفيها "يلتزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها (إثبات الهدف المتضمن في القول)، وتطابق الكلمات العالم، والحالة النفسية هي الاعتقاد، وترتبط درجة الالتزام بالفعل المستعمل"¹⁷.

ومن نماذج هذا الصنف ما ورد في قصيدة "هذيان آشيل" ضمن محور "إسلاميات وقوميّات" التي يردُّ فيها الشاعر على آشيل أحد الاستعاريين الغلاة المتعصبين الذي تهجم على الإسلام والمسلمين ووصف القرآن الكريم بالكتاب المثير للحروب وبأنه عنوان الهمجية والكراهية، فيقول مزها القرآن من كل هذا:

آياته يهدى الإسلام ما برحت تهدي الممالك جيلا بعد جيل.

فأية ملؤها ذكرى وتبصرة
كلامه الصدق لا مین ولا كذب
فليس فيه لأعلى الناس منزلة
ولا احتيال ولا غمض ولا مطل
(الإشترائية) السمحاء مذهبه
إن هو إلا هدى للناس منبلج
وأية ملؤها حكم وتفصيل.
وحكمه الحق لا میز وتفصيل.
(عدن) وفيه لأدنى الناس (سجیل).
ولا اغتيال ولا نقص وتنكيل.
في الحكم لو لم تطل فيها الأقاويل.
ضاحي المسئی أغر الاسم تنزیل¹⁸.

ونشير إلى مقصدية الآيات السابقة من خلال الجدول الآتي:

المفردات الإنجازية	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
آياته تهدي الممالك، أية ملؤها ذكرى وتبصرة، أية ملؤها حكم وتفصيل، كلامه الصدق، حكمه الحق، لا احتيال ولا غمض ولا مطل، الاشتراكية السمحاء مذهبه في الحكم، هدى للناس منبلج...	التقريريات	الوصف والمدح

تحليل المقصدية:

عمد الشاعر في الآيات المتقدمة إلى وصف القرآن الكريم بأرقى الأوصاف وأصدق العبارات، التي هي من صميمه أصلاً، فجاء الوصف بذلك صادقاً موضوعياً مطابقاً لحقيقة القرآن وكنهه، والقصد من ذلك مدح القرآن الكريم والإشادة بالمعاني الجليلة لآياته، فهي كلها ذكرى وتبصرة وحكم وتفصيل ووعظ ونصح... وكلامه (القرآن الكريم) كلام صدق، وحكمه حكم حق، وهو كتاب يند كل أشكال العنف والتمييز (الاحتيايل، الاغتيايل، التنكيل)، ويتبنى الاشتراكية مذهباً في الحكم لا الفردية والاستقلالية فيه، والغاية التأثيرية المراد إحداثها في نفس المخاطب (أشيل وكل من تسول له نفسه التطاول على هذا الكتاب) هي الحجاج له وحمله على الرؤية الموضوعية لحقيقة القرآن الكريم وبيان كذبه وضلاله فيما يقول ويدعي.

ومما يقع تحت هذا الصنف أيضاً ما تضمنته قصيدة "صدى الصحراء" ضمن محور "أدبيات وفلسفيات" التي خاطب بها الشاعر أبناء الشعب الجزائري مطالباً إياهم بحماية الدين الإسلامي من كل ضلالة تهدده أو حدث يُنازله محاولاً النيل منه، وآمراً إياهم في الوقت نفسه بعدم إهمال أمر الحياة، ونهج منهج النشاط والسعي فيها ضارباً لهم المثال بنظيرهم الغربي المجيد ومُعدداً لهم الإنجازات الحضارية الباهرة التي تمكن من تحقيقها، إذ يقول:

فبينكم الغربي وهو أخو العلا
يجد لا دراك العلى ويوالي.

طوى الأرض بالخط الحديدي وانبرى
وأبدع طيارًا بدون محرك
وشقّ عباب البحر والبحر مزيد
يفغوص مع الحيتان في لجج بحرهما
فبحسب الحيتان ضرب وبال.¹⁹
ونكشف عن مقصدية الأبيات السابقة من خلال الجدول الآتي:

الملفوظات الإنجازية	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
أخو العلا، يجدّ لإدراك العلى ويوالي، طوى الأرض، يجول مع الأرياح، أبدع طيارًا، شقّ عباب البحر، يفغوص مع الحيتان.	التقريرات	الإخبار عن إنجازات الفرد الغربي (الإعجاب)

تحليل المقصدية:

يخبر الشاعر في الأبيات السابقة عن بعض الإنجازات الحضارية الخالدة التي حققها الفرد الغربي بفضل جدّه المستمر وسعيه الدائم لإدراك العلا؛ فيذكر مدّه للسك الحديدية وصنعه للطائرات وابتكاره للغواصات، والقصد من وراء ذلك إبداء الإعجاب بهذه الإنجازات المتحققة التي يهدف من وراء الإخبار بها إلى إحداث غايات تأثيرية في نفس المخاطب (الشعب الجزائري) تتمثل في استنهاض هممه ودفعه إلى غار الحياة بكل نشاط وجدّ حتى يدرك ركب الحضارة الغربية ويحاول السير على منوالها ما أمكنه ذلك.

ب- التوجيهيات:

إنّ "الهدف المتضمن في القول للتوجيهيات، هو أنّ المتكلم يسعى إلى أن يجعل المخاطب يقوم بشيء ما، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، والموقف النفسي الموافق لشرط النزاهة هو الرغبة، والمحتوى القضوي هو أنّ المخاطب يجب أن يفعل شيئًا ما..."²⁰.

وأكثر شعر محمد العيد آل خليفة في هذا الصنف من الأفعال الكلامية، فنجدّه في قصيدة "جبال الريف" يدعو إلى ترك حياة الحواضر والإقبال على البوادي نشدًا للراحة وصفاء العيش فيقول:

فقل لمن هو في نشدان راحته
دع الحواضر لا يغرزك رُخْرُفُها
واعشّ البوادي تنعم في مراعها
عيش البوادي نصير لا نظير له
ولا كأودية البادين أودية
إلى الحواضر بالجِدَانِ مُسْأَق.
فجوها قائم كالغاز حَنَاق.
عيشًا ونُحْطَنُكْ إِعْسَارٌ وإِمْلَاق.
وجوها لعضال الداء تريباق.
ولا كآفاقهم في الأرض آفاق.²¹

ونبين مقصدية الآيات السابقة من خلال الجدول الآتي:

المفردات الإنجازية	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
قُلْ، دَعِ الْحَوَاضِرَ، لَا يَغْزُوكَ رُحْرُفُهَا، اغْشِ الْبَوَادِي	التوجيهيات	الإغراء

تحليل المقصدية:

اشتملت الآيات المتقدمة على توجيهيات (طلبات) توجه بها الشاعر إلى المخاطب (كل مفتون بحياة الحواضر) يدعوه من خلالها إلى عدم الاعتزاز بحياة الحواضر ويغريه في المقابل بحياة البوادي وما تمتاز به من نضارة وجوّ صحي مناسب، والقصد من ذلك الإغراء بحياة الريف والترغيب فيها، أما الغاية التأثيرية فتتمثل في إقناع المخاطب بأفضلية حياة الريف على حياة الحواضر وحمله من ثم على القدوم إلى الريف والتمتع بجمال مناظره وصفاء جوّه وبساطة عيشه التي هي حل لكل مشاكل الحواضر (الإملاق، الداء العضال...).

ويندرج ضمن هذا الصنف كذلك ما ورد في قصيدة "تارك الزكاة" ضمن محور "أخلاقيات وحكميات" التي ينكر فيها على تارك الزكاة صنيعه هذا، وينصحه في المقابل إلى الإسراع في تقديم زكاة أمواله؛ لأنّ ذلك ما سيضمن له فضل الثواب وحسن المآل في النهاية، فيقول:

إنّ فرض الزكاة يدعوك فاسمع
فكأنّي بك اخترمت بموت
وكأنّي بك احتملت إلى القبر
وكأنّي بالأهل بعدك حازوا
فمّ قدم زكاة مالك وارقب
فمّ قدم زكاته فهي أرحى
صوت إنذاره ورُدّ الجواب.
خاطفٍ بعده ثلاقي الحساب.
ر ووسّدت في التراب التراب.
منك ميراثهم منابا منابا.
بركات الزكاة وارح الثواب.
لك من كنزه وأنجي مآبا.²²

ونحيل على مقصدية الآيات المذكورة من خلال الجدول الآتي:

المفردات الإنجازية	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
فاسمع صوت إنذاره، رُدّ الجواب، فمّ، قدم زكاة أموالك، ارقب بركات الزكاة، ارحُ الثواب.	التوجيهيات	النصح والإرشاد.

تحليل المقصدية:

يُخاطب الشاعر بهذه الآيات "تارك الزكاة" داعيا إياه إلى التوجه نحوها وإتيانها مستحقها من التأس، وقد استعمل لذلك خطابا وعظيّا تحذيريّا، حذر فيه تارك الزكاة من موتٍ خاطفٍ قد يفاجئه في آية لحظة فيجعله

محمولاً إلى القبر مُوسداً التُرب ويجعل ماله المجموع مقسماً بين أهله، والقصد هو النصح والإرشاد له بضرورة تقديم زكاة أمواله لأنها فريضة الله تعالى على عباده المسلمين من جهة، ولأنها حق معسور الحال على ميسوره من جهة ثانية، أما الغاية التأثيرية المراد إحداثها فهي إقناع المخاطب (تارك الزكاة) بضرورة وحملته من ثم على تأديتها والتقرب بها إلى الله عز وجل، ليُحصّل في النهاية الأجر العظيم والثواب الحسن.

ج- الوعديات:

نشير إلى أنّ "الهدف المتضمن في القول للوعديات هو إلزام المتكلم بتحقيق عمل ما (أو أكثر)، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، ويتعلق شرط النزاهة بالقصد. والمحتوى القضوي هو أنّ المتكلم سيقوم بشيء ما..."²³.

وتظهر الوعديات كثيراً في شعر محمد العيد آل خليفة، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصيدة "علم الجزائر" ضمن محور "ثوريات"، ففيها يقسم الشاعر بتسخير كل جوارحه والتضحية بنفسه وماله في سبيل خدمة علم الجزائر وإحلاله المكانة التي يستحقها، فيقول:

قسماً بأرواح الذين استشهدوا
وبما شهدت من المعارك شامخاً
وبما غنمت من المكاسب بعدما
لأسخرنّ لك الجوارح كلّها
وأضحينّ عليك من نفسي ومن
حتى أجلك في أعزّ مكانة
بجماك مطعناً إلى مطعان.
تعلو الأطواد والكثبان.
خضت الغار مضجّ الأردان.
ولأخدمتك خدمة العبدان.
مالي بما يرضيك من قربان.
يسمو بها وطني على الأوطان.²⁴

ونوضح مقصدية الأبيات المذكورة من خلال الجدول الآتي:

المفردات الإنجازية	نوع الفعل الكلامي	المقصدية
قسماً، لأسخرنّ لك الجوارح كلّها، لأخدمتك خدمة العبدان، أضحينّ عليك من نفسي ومن مالي.	الوعديات	الوعد والتعهد

تحليل المقصدية:

حملت لنا الأبيات أعلاه قسماً صريحاً وتعهداً واضحاً من الشاعر برعاية علم الجزائر وتسخير جوارحه ونفسه وماله وكل ما يملك في سبيل خدمته والذود عنه، وكل هذه التضحيات ونذر الأنفس والأموال، إنّما هو لغاية واحدة ألا وهي تبوأ الجزائر وعلمها مكان الصدارة وموضع العزة فتسمو بذلك على البلدان قاطبة، والقصد هو الوعد والتعهد بالوفاء الدائم لهذا العلم الذي ضحى من أجله الكثير، وبالنسبة للغاية التأثيرية التي ينشد الشاعر

إحداثها في المخاطب فتتمثل في تحبيب هذا العلم إليه وإقناعه بضرورة التضحية من أجله والسعي في سبيل بقائه وسموه.

ويمكن تلمس الوعديات كذلك في قصيدته الموسومة "تفاؤل" المتضمنة ضمن محور "اللزوميات" التي يرد فيها على أصحابه الذين رؤوا وظيفته (التعليم) مجلبة للهموم ومضيعة للعمر مع النشء، فيبدي تمسكه بهذه الوظيفة وشغفه بها، ويعبر أيضا عن تفاؤله الشديد بمستقبل النشء الذي يعلمه، فيقول:

أرى جل أصحابي اژدروا بوظيفتي
وقد زعموا عمري مع النشء ضائعا
سيروون عتي العلم والشعر برهة
فمنهم خطيب حاضر الفكر مصقع
ومنهم ولوع بالقوافي لفكره
ومنهم زعيم للجزائر قائد
فهذا رجائي قلته متفائلا

وقالوا هموم كلها ووجائع.
وتالله ما عمري مع النشء ضائع.
وتطلع للإسلام منهم طلائع.
ومنهم أديب طائر الصيت شائع.
بدائه في ترصيفها وبدائع.
له في مجالات الجهاد وقائع.
وللشرع رأي في التفاؤل ذائع²⁵.

ونعين مقصدية الأبيات المعروضة من خلال الجدول الآتي:

المقصدية	نوع الفعل الكلامي	المفوظات الإنجازية
الرجاء والتفاؤل.	الوعديات	وتالله ما عمري مع النشء ضائع، فمنهم خطيب حاضر الفكر، ومنهم أديب طائر الصيت، ومنهم ولوع بالقوافي، ومنهم زعيم للجزائر

تحليل المقصدية:

حملت لنا الأبيات أعلاه تفاؤلا شديدا من لدن الشاعر بمستقبل النشء الذي يسهر على تعليمه، وهو من أجل ذلك استخدم صيغة القسم الصريحة "تالله ما عمري مع النشء ضائع" التي أكد من خلالها شغفه بمهنة التعليم، وثقته الشديدة في تحصيل ثمار تعبته في تعليم النشء، وقد عبر عن هذا بمجموعة من الآمال التي يرجو تحقيقه في شخص النشء المتعلم، ويبرز ذلك قوله "فمنهم خطيب، ومنهم أديب، ومنهم ولوع بالقوافي، ومنهم زعيم..." والفعل الكلامي الذي يمكن تقديره هنا هو "سيكون" أي: (سيكون منهم خطيب، سيكون منهم أديب، سيكون منهم ولوع بالقوافي، سيكون منهم زعيم...) والقصد هو رجاء الخير والتفاؤل بمستقبل النشء ووعد المخاطب (أصحابه) بالقطوف الدانية التي ستكون جزاء لتعليمه وتعبه، أما الغاية التأثيرية فهي دفع المخاطب إلى التفاؤل، وحمله على ترك التشاؤم وكل ما من شأنه تثبيط العزائم.

د-التعابير:

نلفت النظر إلى أنّ "الهدف المتضمن في القول في التعابير هو التعبير عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصصها المحتوى القضوي. وتخلو التعابير من اتجاه مطابقة. وصدق القضية المعبر عنها صدق مقتضى..."²⁶.

ومن أمثلة هذا الصنف في شعر محمد العيد آل خليفة، ما نجده في قصيدة "أسطر الكون" ضمن محور "أديبات وفلسفات" التي استهلها الشاعر بالتعبير عن سأمه من الحياة وهو في عزّ شبابه وحيرته من المتناقضات التي يراها في هذه الدنيا، إذ يقول:

سمتُ على شرح الشباب حياتي
أرى حظّ أراذل النفوس مواتنا
فأوجسُ في نفسي من الدهر خيفةً
لعلمي بأنّ الدهر ذو غمراتٍ²⁷

ونبرز مقصدية الأبيات المذكورة من خلال الجدول الآتي:

المقصدية	نوع الفعل الكلامي	المفردات الإنجازية
الحيرة والخوف	التعابير	سمتُ، فحرتُ، أوجسُ في نفسي خيفة

تحليل المقصدية:

لقد عمد الشاعر إلى هذه الأبيات من أجل التعبير عمّا يختلج في نفسه من ملل وحيرة وخوف؛ ملل من الحياة رغم فترة الشباب التي يعيشها باعتبار القصيدة نظمت في شباب الشاعر، وحيرة من المفارقة العجيبة التي يراها واقعة أمامه (مفارقة الحظ المواتي لأراذل النفوس والحظ العاثر لكريم النفس في هذه الحياة)، مما ولد لدى الشاعر خوفاً مما سيجمله الدهر من أحداث لاحقة، والقصد هو التعبير عن حالتي الحيرة والخوف اللتين تعترياه، أما الغاية التأثيرية فهي حمل المخاطب على مشاركته إياه في هذه المواقف النفسية حتى تخفّ عليه وطأتها، ويشعر بمقاسمة الآخرين له همومه.

ومن الأمثلة الواردة في الديوان التي يمكن إدراجها في صنف "التعابير"، ما اشتملت عليه قصيدة "ذكرى المولد النبوي" ضمن محور "إسلاميات وقوميات" التي أنشدها الشاعر في نادي "الترقي" بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، وفي ثناياها يعبر الشاعر عن شديد فرحه وعظيم شوقه إلى المصطفى عليه صلوات ربي وسلامه، ويجيئ من خلالها كذلك كل الصفات المثلى والخصائل الفضلى لخير الأنام، وهو في كل ذلك إنّما يعبر عن مدى تعلقه بنبي الرحمة صلى الله عليه وآله، وحجم الشوق الذي يعتريه في ذكرى مولد محبوبه، فيقول:

ألا أنعم أيها النادي
بذكرى مولد الهادي.

لقد جئناك وُزَّادًا
وقمنا في مسرات
نحيي خير مولود
نحيي سيدًا في الحلد
نحيي مُرشدًا لم يـ
نحيي داعي الحسنى
نحيي المصطفى المختار
نحيي منه أخلاقًا

على آثار وُزَّاد.
وأفراح وأعياد.
بدا في خير ميلاد.
ق متبوعًا بأسياد.
غ منهم أجزر إرشاد.
نحيي راعي الضاد.
ر أبا لأجداد.
زكيات كأوراد.²⁸

ونوضح مقصدية الآيات المقتبسة من خلال الجدول الآتي:

المقصدية	نوع الفعل الكلامي	الملفوظات الإنجازية
الفرح بمولد النبي وإظهار الحب له	التعابير	نحيي خير مولود، نحيي سيدًا في الخلق، نحيي مرشدًا، نحيي داعي الحسنى، نحيي راعي الضاد...

تحليل المقصدية:

استعان الشاعر بالآيات المتقدمة في سبيل التعبير عن فرحه وابتهاجه بحلول المولد النبوي، وقد استعمل لذلك الفعل التعبري "نحيي" الذي يصف حاله والمحتفلين معه بهذه الذكرى العزيرة على قلوب المسلمين، وتلك التحايا الموجهة إلى خير الأنام مصدرها الأول هو النفس التي تهيج حنينًا وتجذو شوقًا إليه عليه الصلاة والسلام، وبذلك فالقصد من استعمال الفعل "نحيي" أو عبارة أدق من توجيه التحايا إلى المصطفى والتغني بأخلاقه والإشادة بخصائله هو التعبير عن الفرح والابتهاج الكبيرين بذكرى المولد النبوي من جهة، والتعبير عن الحب الشديد لشخص النبي صلى الله عليه وآله من جهة ثانية، أما الغاية التأثيرية فتتمثل في دفع المخاطب (الحاضرين في الاحتفال) إلى مشاركته فرحة الاحتفال بالمولد النبوي، وغرس حب النبي في نفوسهم.

الخاتمة: في ختام الدراسة نكون قد توصلنا إلى نتائج أهمها:

شهد مفهوم التداولية تعددًا وتنوعًا كبيرين في الساحة البحثية، ومع ذلك يبقى أقرب تعريف إلى حقيقتها البحثية هو ذلك القائل بأنها دراسة للغة في مجال الاستعمال. طبع التنوع مفهوم القصد كذلك، وأقرب دلالاته الاصطلاحية إلى موضوع البحث هو القصد المكافئ لمعنى الخطاب.

-وضع أوستين التصورات الأولية لنظرية الأفعال الكلامية، قبل أن يأتي أستاذه سيرل ويضفي على النظرية بعض التعديلات التي جعلتها أشهر نظرية في الحقل التداولي.

-مثل القصد محور الدراسات التداولية سواء مع أوستين في نظرية أفعال الكلام أو مع غرايس في مفهوم الدلالة غير الطبيعية أو مع سيرل كذلك في تطويره لنظرية أفعال الكلام.

-يُمثل شعر محمد العيد آل خليفة مدونة غنية بالقيم التداولية لأنه يتوجه من شاعر وعالم وإصلاحي في الوقت نفسه إلى أبناء شعب يريد منهم محمد العيد التمسك بدينهم وتحرير وطنهم، وهو من ثم في حاجة إلى الوصف (وصف حالة الهوان التي تعيشها الأمة) والتوجيه (الإرشاد والنصح والأمر بالتمسك بالدين والإقبال على العلم)، وفي حاجة كذلك إلى التعبير عن الحالات النفسية (أسى الشاعر وحزنه على متناقضات الحياة من جهة وواقع شعبه المرير من جهة ثانية)، والوعد (تعهد الشاعر بمواصلة حركة الإصلاح والتعليم التي قادها مع أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وتلكم هي الأصناف الأساسية للأفعال الكلامية عند سيرل (إضافة إلى صنف الإعلانات).

هوامش

- 1- ينظر: محمود أحمد نخلة، 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص14.
- 2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص188.
- 3- ينظر: إدريس مقبول، 2011، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ط1، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص25.
- 4- جيني توماس، 2010، المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، تر: نازك إبراهيم عبد الفتاح، ط1، الرياض، دار الزهراء، ص17.
- 5- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص78.
- 6- المرجع نفسه، ص36، 37.
- 7- ينظر: المرجع نفسه، ص37.
- 8- آن روبول وجاك موشلار، 2003، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، ط1، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص53.
- 9- المرجع نفسه، ص33.
- 10- عامر خليل الجراح، 2019، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ط1، اسطنبول، تركيا، دار سنابل للتحقيق والطباعة والنشر، ص170.

- 11- جاك موشلر وآن ريبول، 2010، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين مجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، ط2، تونس، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ص 57.
- 12- خليفة بوجادي، 2009، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ص 96، 97.
- 13- المرجع نفسه، ص 97.
- 14- المرجع نفسه، ص 99.
- 15- ينظر: محمود عكاشة، 2013، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ص 108.
- 16- ينظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 74-75.
- 17- المرجع نفسه، ص 76.
- 18- محمد العيد آل خليفة، 2010، الديوان، دط، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ص 81.
- 19- المصدر نفسه، ص 19.
- 20- جاك موشلر جاك وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 76.
- 21- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 56.
- 22- المصدر نفسه، ص 250.
- 23- جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 76.
- 24- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 403.
- 25- المصدر نفسه، ص 344.
- 26- جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 76.
- 27- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 16.
- 28- المصدر نفسه، ص 72.

قائمة المراجع:

- إدريس مقبول، 2011، الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ط1، إريد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- آن ريبول و جاك موشلر، 2003، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، ط1، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- جاك موشلر وآن ريبول، 2010، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين مجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، ط2، تونس، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا.
- جيني توماس، 2010، المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، تر: نازك إبراهيم عبد الفتاح، ط1، الرياض، دار الزهراء.

- خليفة بوجادي، 2009، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع. 97.
- عامر خليل الجراح، 2019، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ط1، إسطنبول، تركيا، دار سنابل للتحقيق والطباعة والنشر.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004، إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- محمد العيد آل خليفة، 2010، الديوان، دط، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمود أحمد نخلة، 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- محمود عكاشة، 2013، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.